أمارة جبل القلال أو دولة فراكسنتيوم Fraxintum(٢٧٧-٣٦٥هـ/ ٨٩٠-٩٧٥م)

اعداد

أ.م.د أنسام غضبان عبود **كلية الاداب / جامعة البصرة**

م.د قاسم عبد سعدون الحسيني كلية التربية / جامعة ميسان

المقدمة

عكف هذا البحث الوجيز لتسليط الضوء على دولة إسلامية أُنشأت على الأراضي الأوربية وتحديداً شمال إيطاليا وجنوب شرق فرنسا وأجزاءً واسعة من سويسرا، واستمر وجودها خمس وثمانون عاماً (٢٧٧-٣٦٥هـ/ ٨٩٠-٩٧٥م) ، وطأت إقدام المسلمين هذه الأراضي، وقاموا بتأسيس دولة عرفت بدولة جبل القلال أو إمارة فراكسينتيوم ، ، بعد أن قام عشرين بحاراً مسلماً كانوا راكبين في سفينة من سواحل أسبانيا، فضلت بهم الطريق فتقاذفتهم الأمواج، حتى رمت بهم على شاطئ خليج سان تروبيز *SaintTrappez* في جهات جنوة، فخرجوا إلى البر، وتوغلوا داخل المناطق الأوربية، واتخذوا لهم حصناً منيعاً ، وصاروا يشنون الغارات على مناطق متعددة وسيطروا عليها بالكامل، والغريب في الأمر أن المصادر التاريخية الأوربية قد تواطأت على الحديث عن ذلك الوجود الإسلامي في المناطق المذكورة، إلا أن تناول المصادر العربية القديمة لها يكاد يكون معدومًا، ولا يُستثنى منها سوى سطرين ذكرهما الإصطخري في المسالك والممالك، ونقلهما عنه ابن حوقل . لذلك جاء هذا البحث ليكشف النقاب عن تاريخ هذه الدولة أو الإمارة وذلك من خلال تحديد موقعها الجغرافي والظروف التي رافقت تأسيسها ، مع التركيز على النشاط الحربي الذي قامت به هذه الدولة والتي أصبحت خطرا يهدد الدول الأوربية الأمر الذي دفع إلى أن يقوم زعماء الغرب بتوحيد جهودهم لوضع حد لهجمات هذه الدولة ووقف توسعها والقضاء عليها بشكل تام ، بعد أن فشلت المساعي الدبلوماسية مع الخلافة الأموية في الأندلس، كونها المسئول الأول عن هذه الدولة في إيقاف نشاطها الحربي، والحد من توسعها الإسلامي داخل الأراضي الأوربية . وقد رافق الوجود الإسلامي في المناطق التي شغلها المسلمون في تلك الأراضي الأوربية بناء حضارة إسلامية عريقة ما تزال آثارها، ومعالمها شاخصة إلى وقتنا الحاضر ، حتى أُدهش الأوروبيين بما كان لهم من قدرة بالغة على البناء، وتشييد الأبراج، وتحصينها ، وقد تركوا آثارًا بديعة ، ما تزال في إيطاليا، وغربي سويسرا جدران كثيرة مبنية بالحجارة من بنائهم، وفي كل بناء تركوه ظهر أنهم أهل هندسة بديعة الزخرف يعجب بها كل من تأملها . ولضرورة تقتضيها الدراسة لجأنا إلى استعمال المنهج التاريخي القائم على ربط الأحداث التاريخية مع بعضها البعض لغرض الوصول إلى نتائج حقيقية يمكن الاعتماد عليها . وفي الختام أني لأرجو أن أكون بهذا الجهد والدراسة المتواضعة قد وفقت في وضع شيء مفيد في صرح المكتبة الأندلسية خدمة لتاريخ الأندلس وتراثهِ الضائع .

الموقع الجغرافي

اختلف المؤرخون في تحديد موقع إمارة جبل القلال أو دولة فراكسنتيوم (*Fraxintum*)[١] والتي أنشأ فيها المسلمون دولة استمرت خمس وثمانون عاماً (٢٧٧-٣٦٥هـ/ ٨٩٠-٩٧٥م)[٢] ، فالمؤرخون الفرنسيين يضعون فراكسنتيوم في خليج سانتروبيز *Saint Trappez* [٣] ، ومؤرخو الطليان يخالفونهم في هذا الموقع ومنهم المؤرخ بونينو *Bonino*، يضع فراكسنتيوم في منطقة بروفانس بقرب جبال آرل ، أما المؤرخ مونبريزيو *Monbrizio*، يضع فراكسينتيوم وراء جبال الألب البحرية ومنهم من جعل هذا المكان بقرب آرل وقالوا أن العرب نزلوا هناك[٤] .

أما مؤرخي العرب فقد ذكروا هذا المكان حيث قال الأصطخري عن جبل القلال ما يطابق فراكسينتيوم :(وأما جبل القلال فانه كان جبلاً خراباً وفيه ماء وارض فوقع إليه قوم من المسلمين فعمروه وثاروا في وجوه الفرنجة لا يقدر عليهم لامتناع مواضعهم ومقداره في الطول يومان)[٥] .

أما ابن حوقل فقد قال : (وجبل القلال جبل قديم على مر الزمان فيه مياه وارض وعمارة وحرث يقوت من نجا إليه فوقع أليه قوم من المسلمين فعمروه ، وصاروا في وجوه الفرنجة لا يقدر عليهم مواضعهم ومقداره في الطول نحو ميلين)[٦] .

أما ياقوت الحموي فقد ذكر جبل القلال من خلال قوله : (أما نكبرده فهي بلاد واسعة من بلاد الفرنجة بين القسطنطينية والأندلس تأخذ على طرف بحر الخليج من محاذاة جبل القلال وتمر على محاذاة ساحل المغرب شرقاً إلى أن تتصل ببلاد قلورية)[٧] .

---

[١] تختلف التسمية ما بين الرواية الإسلامية والرواية النصرانية فالرواية الإسلامية تطلق عليها باسم إمارة جبل القلال ، إما الرواية النصرانية فتطلق عليها إمارة فراكسنتيوم . ينظر الحجي ، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، ص٣١٣ .

[٢] الحجي ، عبد الرحمن علي ، العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية ، ص٢٧٤ .

[٣] سانتروبيز ، خليج يقع في منطقة الريفيرا الفرنسية وكان معقل عسكري واستراتيجي مهم ويعد معبرا ما بين فرنسا وايطاليا وبقربه جبل يقال له جبل المورو . ينظر . ارسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٠٨ -٢٠٩ .

[٤] ارسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٠٨ -٢٠٩ .

[٥] المسالك والممالك ، ص٥١ .

[٦] كتاب صورة الأرض ، ص١٠٤-ومابعدها .

[٧] معجم البلدان ، ج١، ص٢٧٣ .

أما القلقشندي فيقول عن حديثه عن قلمرية[٨]: (كنت أفكر أن جبل القلال هذا بالأوصاف التي وصفه بها ابن حوقل وياقوت لا تنطبق إلا على الجبل المشرف في سواحل فرنسا على حدود ايطاليا)[٩] .

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن الجغرافيين العرب قد جعلوا جبل القلال أو فراكسنتيوم بالقرب من حدود الأندلس الجغرافية، وأنهم قد وقفوا بوجه هجمات الفرنجة، وتصدوا لها من خلال تواجدهم في هذا المكان ، ويبدو أن ما دفع هؤلاء الجغرافيين إلى هذا الاعتقاد هو أن جبل القلال كان تحت حماية خلفاء قرطبة كما سيتم التطرق إلى هذا الأمر بالتفصيل في قادم الصفحات .

خريطة توضح نشاط المسلمين البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط واللون الأخضر يمثل خط سير المسلمين وتواجدهم في إمارة جبل القلال أو دولة فراكسينتيوم [١٠]

[٨] مدينة في الأندلس ، تقع في غربيّ الأندلس، في البرتغال الحالية.ينظر الحموي ، معجم البلدان، ج٧، ،ص١٥١ .وكذلك الحميري ، الروض المعطار ، ص١٧١ .

[٩] صبح الأعشى في صناعة الانشا ،ج٥، ص٢٥٥ .

التسمية

بعد أن حددنا الموقع الجغرافي لإمارة جبل القلال بقي علينا أن نضع تفسيرا لهذه التسمية فكلمة القلال التي أضيفت لها كلمة جبل فهي لفظة تحتمل تأويلات مختلفة ففي وصف الأصطخري الفارسي نجد أن هذا الجبل ذات شكلاً هرمياً ، أما الوصف العربي فإننا نجد أن هذا الجبل يرتفع تدريجياً فيكون اسم جبل القلال مطابقاً له علما أن الكتاب العجم أطلقوا عليه كولاقلال وهذه الكلمة تفيد معنى الجبل ، وجبل القلال جزيرة أو شبه جزيرة واقعة وسط سلسلة جبال كان هذا الجبل في الماضي مهملاً غير مسكون فلما انتشر الإسلام جاء بعض المسلمين إلى هذا المحل وسكنوه [١١] .

وقد تعددت التسميات لهذه المنطقة فقد ذكرها الأصطخري[١٢] وابن حوقل[١٣] وياقوت الحموي[١٤] باسم جبل القلال ، أما ابن حيان فقد دعا هذه المنطقة باسم معقل فرخشيط[١٥] ، ولعل التسمية هي تعريبا للمصطلح اللاتيني فراكسنت *Fraxinet* ، ولضرورة تقتضيها الدراسة سوف نذكر الأسمين الإسلامي والنصراني معاً في ثنايا البحث .

أما مصطلح فراكسينتوم فهو مصطلح مشتق من اسم شجر الكثير كان متواجدا في تلك الجهات والتي يقع في القرية الحاضرة التي يقال لها غاردفرينة *Gard Fraint* ، الواقعة في ذيل الجبل إلى جهة الألب ، ومما لا جدال فيه ان مركز هذه القرية كان في غاية الأهمية لأنها الطريق الوحيد من الخليج إلى الشمال[١٦]، بحيث أصبح هذا الحصن أو المعقل في جبل القلال من الحصون والمعاقل المهمة للمسلمين والذي ظهر في قلب أوربا فقد دانت له بعض القواعد المهمة في إقليم بروفانس في جنوب شرق بلاد الفرنجة [١٧] .

---

[١٠] مؤنس ، حسين ، أطلس تاريخ الإسلام ، ص٢٨١ .

[١١] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢١٣ .

[١٢] المسالك والممالك ، ص٥١ .

[١٣] كتاب كتاب صورة الأرض ، ص١٨٥ .

[١٤] معجم البلدان ، ج١ ، ٢٧٣ .

[١٥] ابن حيان ، المقتبس ، ج٥ ، ص٤٥٤ .

[١٦] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٠٨-٢١٢ .

[١٧] لويس ، أرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية ، ص٢٣٠ .

وقد كان يشرف على عمل جبل القلال وكبرى حصون فرخشيط والأقاليم التابعة لها في جنوب شرق بلاد الفرنجة عامل يحمل في التنظيم الإداري الأندلسي أسم قائد فرخشيط[١٨] .

وهنا يحق لنا أن ندحض رأي المؤرخ محمود شاكر السوري الذي قال : (ظن الأوربيون أن هذه الإمارة ويقصد بها إمارة جبل القلال ذات صلة بالمسلمين في الأندلس لذا فقد انطلقت سفاراتهم إلى قرطبة لبحث شأن هذه الدولة ولم يكن لأهل الأندلس علاقة بها)[١٩] ، وللرد على ذلك نقول :أن الخلافة الأموية في قرطبة كانت تشرف على تسيير أعمال هذه الدولة، وتتحكم في قراراتها الإدارية و السياسية وتوجهاتها العسكرية من خلال تقديم كل ما تحتاجه هذه الدولة من المؤن والمعدات الحربية التي تمكنها من التوسع داخل الأراضي الأوربية ، وكل هذه الأمور كانت تتم بشكل سري ، الأمر الذي أحس به زعماء الغرب فقاموا بتوجيه سفارات دبلوماسية للحد من نشاطات هذه الدولة العسكرية وإيقاف توسعها في الأراضي الأوربية .

وقد كان العامل الذي يشرف على هذه الدولة يتبع أدارياً لعامل جزر البليار[٢٠] ، ويمده بإمدادات كبيرة مكنت عامل جبل القلال من توطيد الاستقرار وترسيخ دعائم الحكم الإسلامي فيها ، فتمكن المسلمون من اجتياح غربي لمبارديا في شمال ايطاليا بعد عبور إقليم دوفيني *Dauphine* سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م ، واجتياز ممر مونت سيني *Monte Sina*، أعظم ممرات جبال الألب وقطعوا الاتصالات بين بلاد الفرنجة وايطاليا ، ورسخت أقدامهم في تلك الأقاليم الوعرة منذ ذلك الحين[٢١] .

بداية نشوء إمارة جبل القلال

في عام ٢٣٤هـ/٨٤٨م قبلت جزر البليار سيادة الدولة الأموية في الأندلس عليها ، في الوقت الذي ضعفت فيه المقاومة النصرانية على طول الساحل الجنوبي لفرنسا، ففي تلك الآونة رست سفينة

---

[١٨] ابن حيان ، المقتبس ، ج٥ ، ص٤٥٤ .

[١٩] شاكر ، محمود ، التاريخ الإسلامي ، ج٦، ص١٦٣ .

[٢٠] تتكون جزر البليار أساساً من أربع جزر كبرى رئيسية، تحيط بها عشرات الجزر الصغيرة المتناثرة حولها، وهي جزيرة ميورقة) عاصمة جزر البليار وأكبرها مساحة)، جزيرة منورقة(*Menorca*) ، جزيرة ايبيزا (*Ibiza*) وفورمينتيرا (*Formentera*)التي هي أصغرهم، ولم تذكر في كتب التاريخ القديم، ويبدو أنها كانت مهجورة وغير صالحة لرسو السفن . ينظر سيسالم ، عصالم سالم ، جزر الأندلس المنسية ، ص١٥- ومابعدها .

[٢١] مؤنس ، حسين ، المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٢٩-١٣٠ .

عربية صغيرة على متنها عشرون بحاراً من المسلمين،في خليج سان تروبيز *Saint Trappez* [٢٢]،ونزلوا إلى الشاطئ وشنوا غاراتاً كانت تتسم بالجرأة والبسالة والقوة ، ولجئوا إلى غابة كثيفة ، تظلها الجبال ، ثم هاجموا بعض الضياع القريبة وفتكوا بسكانها ، ولما رأوا منعة معقلهم في البر والبحر ، عولوا على الاستقرار فيه ، ودعوا أخوانهم من الثغور الإسلامية القريبة إلى القدوم ، وأرسلوا في طلب العون والتأييد من حكومات الأندلس والمغرب وإفريقيا[٢٣] ، ثم انضم إليهم بعض الجياع من أهل البلاد وقطعوا جبال الألب وانتشروا في شمال ايطاليا وسويسرا ، وأعلنوا أنفسهم سادة في المناطق التي سيطروا عليها ، وعملوا على بث الذعر والروع في جنوب بروفانس حتى وصفوا بان واحداً منهم يهزم ألفاً ، وأثنين يهزمان ألفين[٢٤] .

وتعد هذه الخطوة هي أول خطوة إسلامية للوصول إلى جنوب فرنسا والسيطرة عليه في وقت كانت فيه مملكة آرل قد ضعفت واضمحلت وخلف الملك بوسون *Boson* ولده الملك لويس *Luis* ولكنه ذهب إلى ايطاليا ليحارب إلى جنب حلفائه فهزم هناك وأسر وتركت مملكته بلا دفاع[٢٥] .

وتبعاً لذلك فقد ساد الانحلال والفوضى في غاليس كلها ، فانتهز المسلمون تلك الفرصة، واخترقوا مناطق واسعة ، وعبروا ممر مون سنى *Mon Sana* أهم ممرات الألب الفرنسية،واستولوا على دير توفاليس *Tuvalis* الشهير في وادي سيس *Seas* على حدود بيمون *Bemoan* ، وفر الأحبار إلى مختلف المناطق ، واشتد بأس المسلمون في تلك الأنحاء واحتلوا معظم ممرات الألب[٢٦] .

وفي سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨ م ، استطاعت قوة من البحارة المسلمين من النزول في شاطئ بروفانس *Brovans* والانتشار في جميع الأنحاء المجاورة ، واجتاحوا كل ما في طريقهم ودموره ، ثم

---

[٢٢] Mohammad Ballan , Fraxinetum An Islamic Forntuier stat in tenth century provence , p26 .

[٢٣] Mohammad Ballan , Fraxinetum An Islamic Forntuier stat in tenth century provence ,p27 .

[٢٤] عنان ، مُحَمَّد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول القسم الثاني ، ص٤٦٨ .

[٢٥] ارسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢١٥ .

[٢٦] عنان، مُحَمَّد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول القسم الثاني ، ص٤٦٨ .

هاجموا مرسيليا *Marseille* واستولوا عليها وأغلقوا طريق الألب غلى ايطاليا ، وبدءوا بالتقدم لغرض الوصول إلى أواسط أوربا[٢٧] .

بعد ذلك غزا المسلمون منطقة فاليه *Vallee* الواقعة في جنوب سويسرا وتوغلوا فيها حتى وصلوا إلى منطقة تارانتيز *Tarantino* ، بعد أن اتخذوا منطقة فاليه قاعدة للإغارة على الأراضي المجاورة في سويسرا وايطاليا حتى قيل أنهم وصلوا في غزواتهم تلك إلى بحيرة جنيف[٢٨] ، ولم يتوقف العرب في حدود تلك المناطق بل واصلوا تقدمهم في أراضي أوربا وقاموا بغزو فريجوس *Fergus* والمدن الساحلية الإيطالية أمثال : جنوة *Genoa* ، لوني *Looney*، بيزة *pizza,* ، إماليفي *Amalevi* ، جايتا *Jatta* ، مرسليا *Marseille* وطولون *Toulon* في جنوب بلاد الفرنجة. الأمر الذي أصاب هذه المدن بنوع من الكساد وشل النشاط البحري والتجاري فقاموا بطلب النجدة والعون من البيزنطيين لمواجهة أساطيل فرخشيط أو فراكسينتوم *Fraxintum* ، ولبى البيزنطيين هذا النداء طمعاً في إعادة نفوذهم على إيطاليا، وأرسلوا أسطولاً بحرياً ضخماً عمل على فرض الحصار على معقل فرخشيط الإسلامي ، ولكنهم عجزوا عن تحقيق أي نصر ، لضراوة مقاومة حامية الحصن الأمر الذي أضطرهم إلى الانسحاب بعد أن خسروا خسائر فادحة [٢٩] .

وفي ولاية احمد بن مُحَمَّد الطليار لجزر البليار (٣٢١-٣٢٢هـ/٩٣٣-٩٣٤م)[٣٠]،قام العرب في قاعدة فرخشيط أو فراكسينتوم *Fraxintum* ، بغارات واسعة على حوض الرون *Rhone* والسيطرة عليه[٣١] ، متبعين في حروبهم أسلوباً عسكرياً يشبه حرب المغامرين في الثغور الإسلامية ، فقد كان جل اعتمادهم على فرق خفيفة التسليح ذات كفاءة عالية تقوم بهجمات سريعة وخاطفة ، بينما تكون القوة الضاربة الرئيسة متحصنة في موقع منيع تتلقى الدعم و الإسناد بشكل متواصل من القاعدة الرئيسة في فرخشيط أو فراكسينتوم *Fraxintum* [٣٢] . أنطلق العرب من فرخشيط أو فراكسينتوم *Fraxintum* إلى بلاد الفرنجة، وتوغلوا عبر معابر الألب الجبلية ومن ثم وصلوا إلى إقليم فاليه في

---

[٢٧] الحجي ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، ص٣١٣ .

[٢٨] عنان ، مُحَمَّد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول القسم الثاني ، ص٤٦٩ .

[٢٩] مؤنس ، حسين ، المسلمون في حوض البحر المتوسط ، ص١٣٠-١٣١ .

[٣٠] ابن حيان ، المقتبس ، ج٥ ، ص٣٢٢-٣٥٦ .

[٣١] Provencal, Levi , Histoire de Espagne Musulmane , p153 .

[٣٢] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٣٠٩ . وكذلك مؤنس ، حسين ، المسلمون في حوض البحر المتوسط ، ص١٣٠-١٣١ .

سويسرا[٣٣] ، وقد شجعهم على ذلك الهجرة الواسعة التي قام بها سكان : لمبارديا *Lombardia* البروفانس *Provence*، برغندية *Burgundy* وحوض الرون *Rhone* ، وفرار أساقفة هذه الأقاليم إلى فاليه *Vallee* في جنوب سويسرا ومعهم كنوز وذخائر كنائسهم وأديرتهم[٣٤] .

ولعل هذه الانتصارات التي حققها المسلمون في هذه المناطق جاءت نتيجة لشجاعتهم الكبيرة التي استطاعوا من خلالها أن يبثوا الرعب في قلوب سكان هذه المناطق ، مستغلين ضعف الحكومات المتواجدة هناك الأمر الذي مكنهم من احتلال تلك المناطق بشكل يسير جدا .

بعد ذلك واصل المجاهدون المسلمون توغلهم شمال جبال الألب ووصلوا إلى سانت جالن *Sant Galan* في سويسرا عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م[٣٥] ، الأمر الذي دفع أمير سويسرا المدعو هرمان *Herman* إلى مناشدة الملك اوتو الأول *Otto I* (٣٢٧- ٣٦٣هـ/ ٩٣٨-٩٧٣م) في المجلس الإمبراطوري الذي انعقد في عام ٣٢٩هـ/٩٤٠ م ، ونادى الحاضرون بتعويض أسقف كور عما لحق به من إضرار جراء اجتياح العرب لمنطقته ، وكان عامل العرب في تلك الحقبة هو مُحَمَّد بن عبد الملك بن عبدوس ٣٢٧-٣٢٩هـ / ٩٣٩-٩٤١م [٣٦] ، وكان يرسل العون والإمدادات إلى عامل فرخشيط أو فراكسينتوم *Fraxintum* ،التابع لعامل جزر البليار [٣٧] .

وقد أدى اجتياح قوات فرخشيط أو فراكسينتوم *Fraxintum* الإسلامية لسويسرا ووصول الجيش الإسلامي إلى نهر الراين إلى الاشتباك في معركة ضارية مع القوات المجرية (الهنغارية)[٣٨]، التي كانت تهاجم شرق سويسرا ، حيث انتهت هذه المعركة بمذبحة مروعة كانت قد تعرضت لها القوات الإسلامية المرابطة على نهر الراين[٣٩] .

---

[٣٣] الحسين ، قصي ، موسوعة الحضارة العربية العصر الأندلسي ، ص٢٢٩ .

[٣٤] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢١٩-٢٢١ .

[٣٥] مؤنس ، حسين ، المسلمون في حوض البحر المتوسط ، ص١٣٠ .

[٣٦] ابن حيان ، المقتبس ، ج٥ ، ٤٥٤ .

[٣٧] ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض ، ص١٨٥ .

[٣٨] عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، أوربا في العصور الوسطى التاريخ السياسي ، ج١ ، ص٢٩٤-٣٠١ .

[٣٩] سيسالم ، عصام سالم ، جزر الأندلس المنسية ، ص١١٧ . لقد صمتت المصادر والمراجع العربية والنصرانية عن ذكر اسم هذه المعركة .

وقد كانت نتيجة هذه المعركة المؤلمة أن ضعف سلطان المسلمين في هذه المناطق الأمر الذي هيأ إلى قيام الأتراك بمهاجمة المجر[٤٠]، لبلاد الفرنجة، وإغارتهم على الثغر الأعلى الإسلامي ، وتراجعهم بالرغم من تواجدهم الكبير هناك بعد أن جوبهوا بمقاومة كبيرة[٤١] ، ونتيجة لاستنزاف قوات فرخشيط أو فراكسينتوم *Fraxintum* الإسلامية للقوات المجرية عام ٣٤٣هـ/٩٥٤م[٤٢] ، فقد مكنت هذه الظروف الملك اوتو الأول *OttoI*، من إيقاع هزيمة كبيرة بهذه القوات المرابطة على مشارف مدينة أوجزبرج *Oodzberg* في عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م في معركة لنخفليد ، ومنذ ذلك الحين توقفت قبائل المجر عن الإغارة على ألمانيا واستقروا في حوض الدانوب ، وكونوا لهم دولة هناك[٤٣] ، فقد أدت هذه الأحداث، أن تصبح إمارة جبل القلال أو دولة فراكسينتوم *Fraxintum* مصدر خطر لحركة المواصلات ، والتجارة التي تربط فرنسا وسويسرا عبر جبال الألب الأمر الذي دفع الإمبراطور الألماني اوتو الأول *OttoI* ، التدخل بنفسه في هذه المسألة[٤٤] .

العلاقات الدبلوماسية بين الخلافة الأموية في الأندلس وأوربا الغربية

٣٣٠- ٣٤٤ هـ / ٩٤١-٩٥٥م

في الواقع أن التعرض لموضوع العلاقات السياسية بين الخلافة الأموية في الأندلس وأوربا الغربية ٣٣٠- ٣٤٤ هـ / ٩٤١-٩٥٥م ،في تلك الحقبة الزمنية من العصور الوسطى أمر غير يسير، حيث العلاقات العسكرية طاغية على سواها من مظاهر التعاون الودي، وأن الاتصالات والزيارات المتبادلة بين وفود الخلافة الأموية في الأندلس (٣١٦-٤٠٠هـ/٩٢٩-١٠٠٩م) ، وبين الدول النصرانية، سواء في الشرق أو الغرب، لم تشغل سوى جانب سطحي في إطار العلاقات الدولية آنذاك، لأن الجانب الأهم كانت تشهده ساحات القتال وقد كانت إمارة جبل القلال او فرخشيط (دولة فراكسينتوم *Fraxintum*)، سبباً في إقامة بعض العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس الإسلامية وأوربا الغربية ،

---

[٤٠] ابن حيان ، المقتبس ، ج٥ ، ص٤٨١ .

[٤١] ابن حيان ، المقتبس ، ج٥ ، ص٤٨١-٤٨٣ .

[٤٢] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٣٢٢ .

[٤٣] عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، أوربا في العصور الوسطى ، ج١ ، ص٢٠١ .

[٤٤] العبادي ، احمد مختار ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٧٢ .

ونتيجة لتوسع هذه الإمارة وسيطرتها على أجزاء مهمة من أوربا الغربية فقد باتت تهدد مناطق واسعة من العالم الأوربي الأمر الذي دفع بحكومات هذه المناطق إلى عقد اتفاقيات ومعاهدات صداقة مع الخلافة الأموية في الأندلس[٤٥] ، وذلك لضمان أمنها وسلامتها وتوفير الأسواق التجارية لبضائعها ، فقد قامت إمارة توسكانة *Tuscany* بعقد معاهدة صداقة مع الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر(٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م)[٤٦]، وكذلك قامت جزيرة سردانية التي عانت من غارات الأساطيل الإسلامية بعقد معاهدة سلام مماثلة مع الخليفة عبد الرحمن الناصر عام ٣٣٠هـ/٩٤٢م[٤٧] .

كذلك عقد الملك هوجو مركيز بروفانس وملك لمبارديا معاهدة صداقة وسلام مع الخليفة عبد الرحمن الناصر، من أجل ضمان سلامة بلاده من غارات فرخشيط أو دولة فراكسينتوم *Fraxintum*،التي كانت تهدد جنوى كبرى ثغور لمبارديا (الأنكبردة)[٤٨] ، بشكل مستمر لوقوعها بمحاذاة جبل القلال وحصن فرخشيط ، وقد قام الملك هوجو بهذه الخطوة بعد أن فشل في اقتحام حصن فرخشيط والسيطرة عليه[٤٩] ، وجاء فشله هذا بسبب المساندة الكبيرة التي قدمتها أساطيل الأندلس والتي كانت بقيادة القائد مُحَمَّد بن رماحس الذي أتخذ من المرية قاعدة في بجانة[٥٠] ، مركزاً لقيادته

---

[٤٥] الحجي ، عبد الرحمن علي ، العلاقات الدبلوماسية الأندلسية ، ص٢٧٥ .

[٤٦] ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص٣١٠ .

[٤٧] الحسين ، قصي ، موسوعة الحضارة العربية العصر الأندلسي ، ص٢٣١ .

[٤٨] Cardoso , Elsa Raquel Fernandes , Diplomacy and oriental influence in the court of Cordoba (9th-10th centuries) ,Master,s degree in history of Islamic Mediterranean societies , University of Lisbon , 2015 , p125 .

من الجدير بالذكر بان الباحثة الأسبانية Cardoso , Elsa Raquel Fernandes قد أعتمدت في معلوماتها فيما يخص هذه السفارة على ماذكره ابن خلدون في كتاب العبر ، ج٤ ، ص٨٤ .

[٤٩] ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص٨٤ .

[٥٠] مدينة بالأندلس كانت في قديم الدهر من أشرف قرى أرش اليمن ، وإنما سمي الإقليم أرش اليمن لأن بني أمية لما دخلوا الأندلس أنزلوا بني سراج القضاعيين في هذا الإقليم وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل ، فكان ما ضمنوا منه مرسى كذا إلى مرسى كذا يسمى ارش اليمن أي عطيتهم ونحلتهم . ينظر الحميري ، مُحَمَّد عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ،ص٧٩ .

تحت أشراف الحكم بن الناصر ولي العهد عامل بجانة ، وبالتعاون مع عامل البليار جعفر بن عثمان المصحفي[٥١] .

وكان من ابرز نتائج هذه المعاهدات التي وقعها كل من الملك هوجو مركيز البروفانس وملك لمبارديا مع الخليفة عبد الرحمن الناصر ، هو مهادنة مسلمي إمارة جبل القلال أو فرخشيط (دولة فراكسينتوم *Fraxintum*) ، للملك هوجو ، بناءا على تعليمات الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ورسوخ العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين ، الأمر الذي وصل إلى قيام الملك هوجو بمهادنة مسلمي فرخشيط والأقاليم التابعة له لمواجهة خطر الملك بيرانجه *Berangh* ، منافسه الشديد على عرش لمبارديا[٥٢] .

ونتيجة لتطور الإحداث السياسية وما تمتعت به إمارة جبل القلال أو دولة فراكسينتوم *Fraxintum* ، من القوة ولا سيما بعد الاعتراف بها كقوة شرعية من قبل الملك هوجو ملك لمبارديا الذي أنتصر على منافسه بيرانجه ، فقد ازدادت مكانة العرب في فرخشيط واستقرت جماعات منهم في نيس *Ness* وفي حوض الرون *Rhone* [٥٣] ، وعملوا على استغلال الأراضي الزراعية فعمرها وزرعوها واعتمدوا عليها في أنتاج قوتهم اليومي[٥٤] .

وازداد نفوذ العرب في فرخشيط رسوخا وقوة لا سيما بعد قيام الملك قسطنطين السابع *Constantine VII* بعقد معاهدة عن طريق احد سفراءه مع الخليفة عبد الرحمن الناصر[٥٥]، فقد تم عقد هذه المعاهدة عام ٣٤٥هـ/٩٥٦م ، وزال بذلك تهديد الأساطيل البيزنطية لحصن فرخشيط ، الأمر

---

[٥١] ينتمي جعفر بن عثمان بن نصر بن قوي بن عبد الله بن كسيلة إلى بربر بلنسية، وقد كان الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله قد اختار عثمان أبي جعفر مُؤدّبًا لولي عهده الحكم، لذا كان جعفر مقرّب لدى الحكم، فقد اختاره ليكون كاتبه الخاص. ثم اختاره الناصر ليكون واليًا لجزيرة ميورقة .ولما آلت الخلافة للحكم، جعله وزيره، وأبقاه كاتبًا خاصًا له، وضم إليه منصب صاحب الشرطة بعد فترة، ثم جعله حاجبه بعد وفاة الحاجب جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي، ثم أصبح المسئول الأول عن تسيير أمور البلاد في العامين الأخيرين من حياة الحكم المستنصر بالله، كما جعله الخليفة هشام المؤيد حاجبه في أول خلافته، وعيّن عددًا من أبناء جعفر وأبناء أخيه في مناصب رفيعة. ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج١ ، ص٢٥٧ .

[٥٢] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٣١٨-٣١٩ .

[٥٣] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٢٣-٢٢٤ .

[٥٤] الحسين ، قصي ، موسوعة الحضارة العربية العصر الأندلسي ، ص٢٣٢ .

[٥٥] المقري ، احمد بن مُحَمَّد ، نفح الطيب، ج١، ص٣١٤ .

الذي بعث الاطمئنان بالنسبة لعرب فرخشيط من أي تهديد خارجي ، وتوجهوا بقوة نحو سويسرا وسيطروا على نهر الراين بأكمله ، فتصدت لهم القوات المجرية الأمر الذي حال دون تحقيق حلمهم كما مر سابقا بالسيطرة على سويسرا بشكل كامل .

وعلى الرغم من أهمية هذه السفارات وما لعبته من دور كبير في رسم العلاقات السياسية بين الأندلس وأوربا الغربية ، لكن تبقى سفارة الملك اوتو الأول *OttoI* ، هي السفارة الأهم من بين هذه السفارات ، وذلك لما يتمتع به هذا الملك من مكانة كبيرة في أوربا ، فقد كان يُعد من أقوى الشخصيات الأوربية وزعيم النصرانية في ذلك الوقت ، وتجدر الإشارة إلى أن إمبراطورية شارلمان التي توارثها هذا الملك (اوتو *OttoI*) ، فقدت الكثير من أهميتها السابقة ، ولم تعد متكافئة في حجمها السياسي مع الدولة الأموية في الأندلس ، ولكن اللافت للنظر أن هذه العلاقة لا تأخذ سوى جانب يسير جداً من اهتمام المصادر العربية، فقد أشار إليها ابن عذارى[٥٦] ، وابن خلدون[٥٧] باختصار شديد جداً ، فقد أكدوا أن هنالك سفارة وصلت الأندلس عام ٣٤٤هـ/٩٥٦م (ينفرد المؤرخ ابن عذارى بوضع تاريخ لهذه السفارة في عام ٣٤٢هـ)[٥٨] ، وكانت برئاسة الراهب جان دي جورز (نسبة إلى دير جورز القريب من مدينة متز) أو مايسمى بيوحنا الغرزيني *John of Gorze* وهو احد علماء عصره في البحث والمناظرة) ، وقد تم استقبال هذه السفارة بشكل يليق بمقابلة السفراء ، حيث سمح لأعضاء السفارة بالنزول في احد القصور الخلافية ، ومن الطبيعي أن يحاط البلاط الخليفي علماً بأهداف ومهمة السفارة قبل السماح له بالدخول والمثول بين يدي الخليفة ، واعتقد أن ممثل الملك اوتو الأول *Otto I* لم يكن على مستوى عالٍ من السلوك الدبلوماسي[٥٩] ، فحينما وصلت مسامع البلاط الخليفي أن السفير يحمل رسالة تتضمن انتقاداً لنظام الحكم العربي في الأندلس، وعبارات تمس العقيدة الديني ، وكلام

---

[٥٦] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ، ٢١٨ .

[٥٧] ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص١٤٣ .

[٥٨] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ، ٢١٨ .

[٥٩] اعتقد ان الاستقبال كان في قصر الزهراء لأنه تم الانتهاء من بناءه في عام ٣٢٩هـ / ٩٤٠م . ومن المستبعد أن يكون الاستقبال في غير قصر الزهراء لأن الخليفة عبد الرحمن الناصر منذ أن أفتتح قصر الزهراء عام ٣٢٩ بدأ باستقبال السفارات والوفود الرسمية به ، علما بان الأستاذ المرحوم مُحَمَّد عبد الله عنان يذكر هذا الأمر ويقول انه تم الأستقبال بقصر قرطبة في احتفال فخم ولم يحدد أسم القصر ينظر عنان ، مُحَمَّد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول، القسم الثاني ، ص٤٥٨ ..

يتضمن فيه النيل من النبي مُحَمَّد ﷺ[٦٠]، رفض الخليفة عبد الرحمن الناصر استلام الرسالة معلناً عدم ارتياحه للسفير البيزنطي[٦١] .

ويبدو من خلال الرواية الكنسية التي أوردها لنا المرحوم مُحَمَّد عبد الله عنان ، أن الناصر قد تعرض في بعض رسائله التي بعثها إلى الملك اوتو الأول للنصرانية وتعاليمها ، فوجد الملك اوتو الفرصة سانحة لأن يدافع سفيره عن قضية النصرانية[٦٢] ، لذلك يبدو أن هذه المهمة الجدلية ، لم تكن إلا مهمة ثانوية إلى جانب موضوع السفارة الأصلي ، وأن مهمة السفير الحقيقية كانت تتعلق بشأن توغل المسلمين (مسلمي جبل القلال)، المتزايد في وادي نهر الرون ووصولهم في غاراتهم حتى قلب الجبال السويسرية ، بصورة تبعث الرعب والروع في كثير من الجماعات النصرانية ، لذا فقد استعان الملك اوتو الأول بالخليفة عبد الرحمن الناصر كون أن هذه الجماعات والمستعمرات تنتمي إليه طالباً منه أن توقف هذه الممارسات .

تأخر الناصر في استقبال السفير يوحنا الغرزيني ، إذ أصر بعد إطلاعه على رغباته وما يحمله من رسائل (ينفرد الدكتور عبد الرحمن علي الحجي دون غيره ،أن حسداي بن شبروط هو من استقبل سفارة الملك اوتو الأول واطلع على الرسالة ، ثم ابلغ الخليفة الناصر على ما جاء بها من تفاصيل)[٦٣] ،على استبقاء الجانب الديني من مهمته بعيداً عن المباحثات، وحصر مهمته بقضية العلاقات بين البلدين[٦٤]، ولما ألح يوحنا في طلب المقابلة والمحادثة ، أجابه الناصر بأنه سبق أن أرسل رسولاً أسقفاً إلى اوتو الأول فاعتقله مدى ثلاثة أعوام ، وأنه سيعتقله أي يوحنا ، أضعاف هذه المدة، لأنه ارفع مقاماً من ملك النصرانية[٦٥].

---

[٦٠] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٧٢-٢٧٣ . وكذلك العبادي ، احمد مختار ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٧٢-٢٧٣ .

[٦١] شبارو ، عصام مُحَمَّد ، الأندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود ، ص١٦٩-١٧٠ .

[٦٢] دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول، القسم الثاني ، ص٤٥٧ .

[٦٣] العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية ، ص٢٨٥ .

[٦٤] Zuk, Muslim Diplomatic, p89.

[٦٥] Cardoso , Elsa Raquel Fernandes , Diplomacy and oriental influence in the court of Cordoba (9th-10th centuries) p120 .

بعد ذلك رأى الناصر أن هنالك إشكالاً لا يمكن أن يحل إلا عن طريق إرسال سفارة أندلسية يتزعمها الأسقف المستعرب *Recemundo* ريثموندو المعروف ب ربيع بن زيد[٦٦] الذي كان متمكناً من اللغتين أللاتينية والعربية معاً ، فذهب إلى فرانكفورت واجتمع بالملك اوتو الأول الذي رحب به، فتلاشت الحدة التي غمرت العلاقة بين البلدين، ولما عاد إلى قرطبة ٣٤٧هـ/٩٥٨م، أرسل معه مبعوثاً شخصياً هو دون دي فيردون *Don de Verdon* يحمل تعليمات جديدة إلى يوحنا الجورزيني تقضي بالتخلي عن موقفه المتشدد، فاستقبله الخليفة عبد الرحمن الناصر وأنزله في مقر إقامته في قرطبة، وسط احتفال ضخم ، ظهرت فيه روعة البلاط الأموي ، ونظر الخليفة بموضوع السفارة[٦٧] .

من الغريب أن المصادر العربية لا تذكر شيئاً عن أخبار تلك السفارات التي تمت بين اوتو الأول والخليفة عبد الرحمن الناصر ، وكان اهتمامها بإحداث تلك القاعدة الأندلسية الهامة التي كانت في الأراضي الأوربية إلا فقط ما ذكره ابن خلدون والمقري أوردا عبارات مختصرة ذكرا فيها أن ملك الفرنجة وراء جبال البرت أرسل رسولاً وهدية إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر[٦٨] .

وقد جاءت وجهة النظر التي أبدتها حكومة قرطبة لسفير الملك اوتو الأول فيما يتعلق بشأن المستعمرات الإسلامية وغزوات المسلمين لفرنسا وشمالي إيطاليا وسويسرا ، أن ليس لها علاقة بتلك المستعمرات، وأنها لا تتحمل تبعات أعمالها ، ولا تستطيع التدخل في شانها ، أو تبذل نصحها لهؤلاء

---

[٦٦] المقري ، احمد بن مُحَّد ، نفح الطيب ، ج١، ص٣٦٥ . ربيع بن زيد كان مقرباً من الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم ، ولأهميته فقد كان له موقع في قصر الخلافة في قرطبة ويشار إليه موظف في البلاط وضعه الناصر مسئولاً عن كثير من السفارات وعينه أسقفاً لألبيرة (Elvira) ، مكافأة له عن خدمته للبلاط الخليفي ، وكان قد أهدى للخليفة الحكم الثاني تقويماً باللاتينية والعربية يسمى: كتاب تفصيل الأزمات ومصالح الأبدان . ينظر الحجي ، عبد الرحمن علي ، العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع اوربا الغربية ، ص٢٨٥

[٦٧] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٣٤ . وكذلك رمضان ، عبد المحسن طه ، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة ، ص٣٢١ . وكذلك Cardoso , Elsa Raquel Fernandes , Diplomacy and oriental influence in the court of Cordoba (9th–10th centuries) p126.

[٦٨] ابن خلدون ،كتاب العبر ، ج٤ ، ١٤٣ . كذلك المقري ، احمد بن مُحَّد ، نفح الطيب ، ج١ ، ص٣٤٢ .

المغامرين[٦٩] . لكن في حقيقية الأمر يبدو أن الأمور مختلفة تماماً فقد أكدت المصادر الإسلامية أن إمارة جبل القلال كانت تتبع إدارياً لعامل ميورقة أو جزر البليار، وأن تعليمات الخليفة عبد الرحمن الناصر كانت تصل إلى قائد إمارة جبل القلال أو فرخشيط لتنفيذها [٧٠] .

ولعل السبب الذي دفع بالخليفة عبد الرحمن الناصر إلى هذا الرد أو القول ، نظراً لما كانت تحمله رسالة الملك اوتو الأول من إساءة لشخص النبي الأكرم مُحَمَّد ﷺ ، وكذلك ما اتصفت به العلاقات بينهما من تشنج ، وتهديد ووعيد من قبل الملك اوتو الأول وإسآته المتكررة للإسلام ، كل هذه الأمور دفعت بالخليفة الناصر لهذا الرد .

وقد أكد المؤرخ الألماني ليتوبرايد *Litobraead* ، الذي كان معاصراً لتلك الأحداث : (بان حصون المجاهدين المسلمين الأندلسيين وقواعدهم في بلاد الفرنجة وايطاليا وسويسرا كانت تحت حماية الخليفة الناصر نسفه)[٧١] .

والسؤال المهم هنا هل حققت هذه السفارة أهدافها التي جاءت من اجلها ؟ لا يمكننا القول أن السفارة كانت فاشلة، وأنها لم تحقق شيء من هدفها الأصلي في نظر الملك اوتو الأول ولا سيما تأثير الخليفة عبد الرحمن الناصر على إمارة جبل القلال أو دولة فراكسينتوم *Fraxintum*، فأن هذه الدولة سوف تنتهي وتزول دون أن تقدم الخلافة الأموية في قرطبة أي مساعدات تحول دون ذلك .

كذلك فقد حققت هذه السفارة أهدافا يمكن أن نعدها ثانوية ، هو أنها استطاعت أن تطلع على الحضارة الإسلامية في الأندلس وما أنتجه المسلمون من تقدم شمل مختلف جوانب الحياة ، ناهيك عن اطلاع الوفد ، والتعرف عن كثب عن حالة النصارى الموجودين في الأندلس ، بحيث كونوا صورة واضحة عن جوانب الحياة الأندلسية .

---

[٦٩] عنان ، مُحَمَّد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول القسم الثاني ، ص٤٥٨ . وكذلك السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص١٧١-١٧٢ .

[٧٠] ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض ، ص١٨٥ . وكذلك أبن حيان ، المقتبس ، ج٥ ، ص٤٥٤ .

[٧١] نقلاً عن أرسلان ، شكيب ، تاريخ العرب وغزواتهم ، ص٢٣٣ .

وتبعاً لذلك فقد باتت المواجهة العسكرية واضحة المعالم بين الملك اوتو الأول وزعماء إمارة جبل القلال أو دولة فراكسينتيوم فرخشيط *Fraxintum* ، لإنهاء هذه الإمارة ، التي أصبحت تشكل خطراً كبيراً على أوربا كلها .

سقوط إمارة جبل القلال أو دولة فراكسينتيوم *Fraxintum* ونهاية الوجود الإسلامي في حوض البحر المتوسط ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م

نتيجة لفشل الملك اوتو الأول *Otto I* في وقف اجتياح المجاهدين الأندلسيين لبلاده بالطرق الدبلوماسية ، فقد أتخذ أولى خطواته العسكرية لمجابهة هذه الدولة (إمارة جبل القلال، دولة فراكسينتيوم *Fraxintum*)، وإنهاء وجودها فقد عمل على الاستيلاء على لمبارديا في شمال ايطاليا ، وتعبئة السكان لمحاربة مسلمي هذه الدولة[٧٢] ، وقام البابا يوحنا الثاني عشر *John XII* ، بعد فشل المساعي الدبلوماسية مع الخليفة عبد الرحمن الناصر في وضع حد لتصرفات هذه الدولة، ووقف الزحف الإسلامي على أوربا[٧٣]، بتتويج اوتو الأول إمبراطوراً على أن تتزعم الإمبراطورية الرومانية المقدسة قيادة تحالف مسيحي لمواجهة التوسع الإسلامي في أوربا[٧٤]، لذلك أعلن الإمبراطور اوتو الكبير حرباً صليبية على المسلمين في معقل فرخشيط فراكسينيوم *Fraxintum*، بجبل القلال والأقاليم التابعة له في جنوب بلاد الفرنجة، وشمال ايطاليا وسويسرا عام ٣٥٧هـ/٩٦٨م[٧٥] ،حتى عمت موجة من الحماسة العارمة شتى إنحاء أوربا وقامت البابوية بحركة لتجميع القوى المسيحية بالتعاون مع الحركات الدينية وعلى رأسها الحركة الكلونية[٧٦] ،وقام القسس والرهبان بتحريض السكان وحشد القوى لمحاربة المسلمين[٧٧]، وبدأ نجم أولئك

---

[٧٢] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٣٣-٢٣٦ .

[٧٣] ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج٤، ص٣١٠ .

[٧٤] سيسالم ، عصام سالم ، جزر الأندلس المنسية ، ص١١٩ .

[٧٥] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٣٨ .

[٧٦] ظهرت الحركة الإصلاحية الكلونية في النصف الأول من القرن الرابع / العاشر الميلادي في منطقة اللورين حول متزولييج ،ثم ظهرت مع إقليم اللورين حركة إصلاح جديدة في حوض الرون وأسس ديراً جديداً في كلوني سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م ، وسرعان ما أشتهر دير كلوني وانتشر هذا النظام الديري في غرب أوربا وأصبح للأديرة الكلونية ورجالها قوة عظيمة ونفوذ واسع عند منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي لذلك كان لمقتل القديس مايول

المسلمين في الأفول واضمحلال سيادتهم في تلك الأنحاء ، بعد أن كانت لهجماتهم وقع عميق في أوربا ، الأمر الذي أدى إلى إخراج المسلمين من معاقلهم في آكام سان برنار St. *Bernard* ، وكذلك اخرجوا من مدينة جرينول *Jreynol* ، وساءت أحوالهم ثم دنت بوادر المعركة الحاسمة ، وحدث في ذلك الحين أن حبراً كبيراً يدعى سان مابيل *Saint Michael* أسقف دير كلوني من أعمال برجونيه ، حج إلى روما ، ولما عاد في الطريق أسره المسلمون بعد أن نصبوا كميناً في شعب الجبال له ، واشترطوا عليه فدية كبيرة ، دفعت بعد عناء ، وأطلق سراحه هو ومن معه فذاعت قصة أسرهم[٧٨] ، وما يعانيه الحجاج النصارى من أذى كبير جراء ممارسات المسلمين ضدهم ، فغضب النصارى لهذا الأمر ، واجتمعوا حول شخص يدعى بوبون أو بيفون *Bebon* ، وانتهز فرصة حماسة العامة وبنى حصناً في سترون *Stron* ، على مقربة من حصن كان يملكه المسلمون وباغتهم في هجوم مفاجئ وقضى على الكثير منهم بعد أن تفرقوا مابين قتيل وأسير وكان ذلك في عام ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م[٧٩]

وفي الوقت ذاته التف النصارى في منطقة دوفينه حول زعيم يدعى جيوم *Jiom* ، وهاجموا المسلمين في جميع مراكزهم ومزقوهم من جميع النواحي ، وبذلك انهارت سيادتهم في دوفينه ، ولم تبق إلا في بروفانس *Brovans* ، والتي سيطر عليها جيوم بعد مقاومة عنيفة من المسلمين وتلقب بألقاب الإمارة[٨٠] ، وهنالك رواية أخرى تؤكد أن الذي جمع كلمة النصارى وجعلهم يثيرون بوجه العرب هو شخص يدعى غليوم *Guillaume* واستأصلوهم عن بكرة أبيهم[٨١] .

ونتيجة لهذه الانتصارات التي حققها جيوم قام باستدعاء السادة وأشراف ملته لمعاونته، والوقوف معه لإخراج المسلمين من بلادهم فساندوه كونت نيس ، الأمر الذي استدركه المسلمون فعملوا على جمع قواهم ، وتوحيد صفوفهم ونزلوا من آكام الى البسيط في صفوف متراصة ووقعت بينهم وبين

راهب مدينة كلوني شأن واهمية عظيمة فثار الجميع لمقتله وتكتلوا في صف واحد لمحاربة المسلمين . عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، أوربا في العصور الوسطى ، ج١ ، ص٣٢٤ .

[٧٧] طرخان ، إبراهيم ، المسلمون في أوربا ، ص١٧٦ .

[٧٨] Scott G, Modiolus of Cluny considers the Muslims of La Garde-Freinet ,p427

[٧٩] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٤٠-٢٤١ .

[٨٠] عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثاني ، ص٤٧٣ .

[٨١] Scott G, Modiolus of Cluny ,p428 .

النصارى معركة كبيرة عرفت بمعركة تورتور *Tourtour* ، التي فنيت فيها معظم القوات الإسلامية أمام الحشود الهائلة للجرمان والفرنجة والطليان[٨٢] ، وارتدوا إلى قلاعهم ولا سيما فراكسينيتوم أو فرخشيط التي عدت ملاذاً أخيراً لهم ، فطاردهم النصارى وضيقوا الحصار عليهم ، وأمعنوا فيهم القتل والأسر، وفر الكثير منهم عن طريق البحر، وتنصر كثيراً منهم ، ومن بقي مسلماً أصبح رقاً مستخدماً أما في أراضي الأديرة أو في أراضي الزعماء[٨٣] .

وتبعاً لذلك سقطت دولة جبل القلال أو فراكسينتيوم *Fraxintum*، سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م بعد أن لبثت زهاء خمس وثمانون عاماً (٢٧٧-٣٦٥هـ/ ٨٩٠-٩٧٥م)[٨٤] ، وكانت مركزاً قوياً للغزوات العربية في منطقة غاليس *Galicia* ، وقسمت أسلاب العرب وما تركوه من ممتلكات بين السادة والجند الذين اشتركوا في هذه الحرب الصليبية ، وانهارت سلطة العرب في تلك الأنحاء وأما المستعمرات الإسلامية التي كانت مبعثرة في آكام الألب فإنها طوردت، وانهي فيها الوجود الإسلامي فقد حصل الكونت جليوم*Jaleom* صاحب بروفانس على أموال كبيرة من جراء سقوط هذه الدولة تثميناً لبطولاته التي أبداها في محاربة مسلمي جبل القلال ، وكذلك جيبيلين غريمالدى *Jabeilin Grimaldi* الذي كان من أهل جنوة فانه كوفئ على إقدامه بالأراضي التي كانت في منتهى خليج سان تروبيز ، وممن يذكر من المشاهير الذين بذلوا جهوداً كبيرة في هذه الحرب هم مسيحي آلت الذين حصلوا على سيادة كاستلان *Castallane*، في مقاطعة الألب السفلى ، وكذلك استولت الكنيسة أيضاً على كثير من الأراضي التي كانت بأيدي المسلمين ، وذلك لأن رجال الدين المسيحي كانوا قد أصيبوا وتأذوا أكثر من غيرهم بهذه الغارات التي كانت تهدد وجودهم ، لذلك فأنهم كانوا في طليعة الحركات التي كانت تسعى لإجلاء العرب ، من مناطقهم ، فنال أساقفة فريجس *Freajs* ، نصيباً كبيراً لا يقل عن ما ناله أساقفة نيس *Ness* ، من ممتلكات كانت بأيدي المسلمين[٨٥] .

---

[٨٢] مؤنس ، حسين ، المسلمون في حوض البحر المتوسط ، ٢١٣١ .

[٨٣] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٤٢-٢٤٤ .

[٨٤] الحجي ، عبد الرحمن علي ، العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية ، ص٢٧٤ .

[٨٥] ارسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٤٥ .

وعلى هذا النحو امتد النفوذ الإسلامي في أوربا الجنوبية والوسطى وأعالي الراين وسويسرا الشمالية وهي أمضى ما وصل إليه المسلمون في قلب أوربا ثم أعقب حركة المد تلك انحساراً في جميع الجهات ، وأن لم تتم في وقت واحد بل على فترات مختلفة[٨٦] .

وهنا لنا الحق أن نتسآل ما هو موقف الخلافة الأموية في الأندلس من جراء ما حدث لإمارة جبل القلال ، ولماذا لم تقدم الدعم الذي يحول دون سقوطها بيد النصارى ؟ منذ عام ٣٠٤هـ/ ٩١٧م بدأ نفوذ الدولة الفاطمية بالتنامي والتزايد في بلاد المغرب العربي ، حتى بات يهدد الوجود الأموي في بلاد الأندلس فقد وقف الفاطميين إلى جانب الثائر عمر بن حفصون[٨٧] ، الذي استمرت ثورته لأكثر من أربعين عاماً ، وباتت هذه الثورة تهدد الوجود الأموي في الأندلس إلى أن جاء الخليفة عبد الرحمن الناصر فاستطاع القضاء عليها بالكامل في عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م ، بعدها دخل الخليفة عبد الرحمن الناصر باتفاقات مع دول أوربا من شأنها الحد من تزايد النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب العربي ، إذ لم تتوقف محاولات الفاطميين عند هذا الحد ففي سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م، هاجمت بعض سُفن الفاطميين شواطئ ألمرية[٨٨]،ورد الأسطول الأندلسي على ذلك بالإغارة على شواطئ إفريقية، وفي سنة 347هـ/٩٥٨م هاجم الأسطول الأندلسي مجددًا شواطئ إفريقية، فرد الفاطميون الهُجوم بتسيير جيشٍ ضخمٍ بقيادة جوهر الصقلي [٨٩]، زحف به إلى المغرب، فبلغ بجيشه المحيط، إلا أن هذا الجيش عاد

---

[٨٦] المزروع ، وفاء عبد الله سليمان ، جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول الى القرن الخامس الهجري ، ص٢٧٣ .

[٨٧] عمر بن حفصون أحد أشهر معارضي سلطة الدولة الأموية في الأندلس .عاصر ابن حفصون في ثورته أربعة من الأمراء الأمويين، بدءًا من عام 267هـ في عهد الأمير مُحَمَّد بن عبد الرحمن وحتى عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله وسيطر خلالها على مناطق كبيرة في جنوب الأندلس، ولاقت حركته ترحيب من أعداد كبيرة من سكان تلك المناطق من المولدين والمستعربين، وقاومتها سلطات الدولة بحزم إلى أن أنهى عبد الرحمن الناصر لدين الله حركة ابن حفصون وخلفائه تمامًا عام 316هـ، بعد عشر سنوات على وفاة عمر بن حفصون نفسه. ينظر ابن الخطيب ، إعمال الأعلام،ص٣١-٣٣ .

[٨٨] المرية مدينة تقع بين مدينتي مالقه ومرسية على ساحل بحر الزقاق وكانت تشغل الموقع نفسه الذي تقوم عليه مدينة المرية الحالية وفي البقعة المعروفة باسمها من السهل الرسوبي الممتد ما بين البحر وسلاسل الجبال الملاصقة لسلسلة جبال جادور . ينظر ابن كثير ، تقويم البلدان ، ص١٧٦ .

[٨٩] جوهر الصقلي، أبو الحسن جوهر بن عبد الله ويعرف أيضاً باسم جوهر الرومي وكان أهم وأشهر قائد في التاريخ الفاطمي، فهو مؤسس مدينة القاهرة وباني الجامع الأزهر وهو من أقام سلطان الفاطميين في الشرق وهو فاتح بلاد المغرب ومصر وفلسطين والشام والحجاز .

أدراجه دون الاحتفاظ بما اكتسبه من أراضٍ[٩٠] ، وتبعاً لذلك فاعتقد أن الخلافة الأموية قد ركزت جل اهتمامها لتأمين الجبهة الداخلية ودفع خطر الفاطميين ، حيث أنها كانت غير قادرة على مواجهة جبهتين في وقت واحد (الخطر الفاطمي وتهديدات الحرب الصليبية التي تزعمها الإمبراطور اوتو الكبير ضد دولة جبل القلال أو إمارة فراكسينتيوم) . هذا من جانب ومن جانب آخر فقد كانت وفاة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر عام ٣٥٠هـ/٩٦١م، خسارة كبيرة لمسلمي الأندلس ومسلمي إمارة جبل القلال ، فقد تربع على عرش الأندلس الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م)[٩١]، الذي عرف بأنه رجل علم و أدب ولم يكن رجل حرب فلم يعر أهمية للمخاطر والتهديدات العسكرية التي كانت تحيط بإمارة جبل القلال ، فسارت هذه الدولة إلى مصيرها المحتوم وسقطت بيد النصارى .

وقد كان لهذا السقوط نتائج خطيرة تركت آثاراً كبيرة على تاريخ البحرية الإسلامية المتمركزة في حوض البحر المتوسط ، من أبرزها وأكثرها تأثيراً على مصير جزر البليار ، وسواحل الأندلس الشرقية وسواحل المرغب بصورة خاصة[٩٢] ، فبعد أن سقطت هذه الدولة وزال الرعب والخوف الذي خلفته في شعوب المناطق التي سيطرت عليها ، عادت دور الصناعة في تلك المناطق ، وبتشجيع من البابوية قام السكان ببناء الأساطيل البحرية في منطقتي بيزة *Paisa* وجنوة *Genoa* ، وعملوا على إنشاء القناطر وبناء الأبراج والاستحكامات العسكرية[٩٣] ، الأمر الذي تنبه له المسلمون بعد أن بدأ انهيار المعاقل الإسلامية التي كانت تتصدى للغزوات الصليبية .

وأصبحت البحرية في بيزة وجنوة ذات شأن كبير إلى درجة أنها تزعمت حملات صليبية كان هدفها الاستيلاء على جزر البليار ، ومهاجمة السواحل الإسلامية في شرق الأندلس، وشمال المغرب لوقف حركة التوسع الإسلامي في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وللحصول على الغنائم ، وعلى الرغم من تلك القوة التي اتصفت بها القوى الغربية إلا إنها لم تستطع أن تنال من الوجود الإسلامي في صقلية

---

[٩٠] رمضان ، عبد المحسن طه ، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة ، ص٣٣٤-٣٣٥ .

[٩١] ولد الحكم بن عبد الرحمن في ٢٤ جمادى الأولى وقيل غرة رجب ٣٠٢ هـ في قرطبة، وأمه أم ولد تدعى مرجان استمر عهد أبيه الناصر لدين الله خمسين عامًا، حتى إن أباه كان يداعبه قائلاً لقد طوّلنا عليك يا أبا العاصي وقد أوكل إليه أبوه العديد من المهام في حياته، أنضجته قبل أن يتولى الخلافة .بعد وفاة أبيه، تولى الحكم الخلافة بعهد من أبيه، وبويع في اليوم التالي لوفاة أبيه في ٣ رمضان ٣٥٠ هـ، واتخذ لقب المستنصر بالله .ابن عذارى، البيان المغرب ، ج٢،ص٢٣٣ .

[٩٢] لويس ، ارشيبالد ، القوى البحرية والتجارية ، ص٣٤٤ .

[٩٣] سيسالم ، عصام سالم ، جزر الأندلس المنسية ، ص١٢٢ .

، فقد كان الأمراء الكلبيون المسلمون يملكون أساطيل قوية استخدموها ببراعة وبسالة في التصدي للقوة البحرية التابعة لبيزة وجنوة بالتعاون مع البحرية الزيرية في تونس[٩٤] .

وبعد انهيار الخلافة الأموية (٣١٦-٤٢٢هـ / ٩٢٩-١٠٠٩م)، ظهر القائد مجاهد العامري[٩٥]، الذي لقبه الفرنجة بلقب موجيت *Mujet* ، أو موزكتوس *Musectus* ، حيث كان أسمه يلقي الرعب في سكان كورسكة *Corsica* وسردانية *Sardanah* وبيزة *Paisa* وجنوة *Genoa*[٩٦] . وقام بالاستيلاء على جزر البليار ، وظهرت في عهده وعهد من خلفهُ قوة بحرية كبيرة تصدت للأساطيل الإيطالية والفرنجية فترة من الزمن قبل سقوط جزر البليار في يد القوات الصليبية المتحالفة[٩٧] .

ولم تقتصر نتائج سقوط إمارة جبل القلال أو دولة فراكسينتيوم *Fraxintum* ، على النتائج الآنفة الذكر بل تجاوزتها إلى نتائج أكثر خطورة ، إذ تمكنت الحركات الدينية النصرانية مدعومة من البابوية وعلى رأسها الحركة الكلونية من تعبئة، وتحشيد الشعوب المسيحية في معظم إنحاء أوربا لمحاربة المسلمين في عقر دارهم ، الأمر الذي ترتب عليه نتائج خطيرة غيرت حركة التاريخ ومسيرته ، حيث تكلل ذلك بإعلان البابا أوربان الثاني[٩٨] *Urban II*(٤٣٤- ٤٩٣هـ/ ١٠٤٢-١٠٩٩م) ، الحرب على المسلمين في مجمع كليرمون سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م ، معلناً أن نهاية القرن الخامس الهجري هي بداية انطلاق الحملات الصليبية المدمرة ضد بلاد المسلمين في مشرق الإسلام وغربه ، فكانت جزر البليار من أولى ضحايا هذه الحرب[٩٩] .

أثر الوجود العربي والإسلامي في إمارة جبل القلال أو فراكسينتيوم *Fraxintum*

[٩٤] لويس ، ارشيبالد ، القوى البحرية والتجارية ، ص٣٠٦-٣٠٧ .

[٩٥] مجاهد العامري كان من فحول فتيان بني عامر قدمه المنصور بن أبي عامر على مدينة دانية وضبطها وجميع إعمالها المضافة أليها . ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص١٥٥-١٥٦ .

[٩٦] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٥٧ .

[٩٧] ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص٣٥٣-٣٥٤ .

[٩٨] أوربان الثاني صاحب ألحملة الصليبية الأولى في التاريخ وهو الذي تولى الكرسي البابوي في إحدى عشرة سنة، وذلك من سنة (٤٨٠- ٤٩٢هـ / ١٠٨٨ - ١٠٩٩م) ، وكان هو الآخذ لقرار الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي وكان أوربان رجلاً ذكيًا سياسيًا لبقًا، وخطيبًا جريئًا حاسمًا، مطلعًا على أحوال العالم المعاصر له . وتعتبر دعوته للحروب الصليبية هي بداية الانطلاق للدولة الدينية في أعتى صورها كما أنها كانت البداية لظهور ما يسمى بصكوك الغفران قاسم ، عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص٩٠-٩٤ .

[٩٩] عاشور ، سعيد عبدالفتاح ، أوربا في العصور الوسطى ، ج١ ، ص٣٩٩ .

أن الكثير من المؤرخين يرون أن مسالك الحضارة الإسلامية إلى أوربا اقتصرت على الحروب الصليبية حيث أخذ الأوربيون عن الشرق ما راق لهم من حضارة الإسلام ، كما تأثروا بالحضارة الإسلامية في جنوب ايطاليا وصقلية ، ناهيك عن الأندلس التي كانت بوابة للحضارة الإسلامية إلى أوربا ولكن يجب أن لا نغفل مسلكاً آخر رئيساً وهاماً هو تواجد المسلمين أنفسهم في أوربا الغربية بعد عبورهم جبال البرتات ،وقد كان هذا التيار الحضاري قوياً فقد كان الاحتكاك فيه بين المسلمين والأوربيين احتكاكاً قوياً ومباشراً ، وكما مر بنا سابقا .

أن الوجود العربي والإسلامي في هذه المناطق لبثت زهاء خمس وثمانون عاماً (٢٧٧-٣٦٥هـ/ ٨٩٠-٩٧٥م)[١٠٠] ، فكان من الطبيعي أن تحصل عملية تأثر وتأثير متبادل بين سكان البلاد الأصليين والعرب الفاتحين ، وان تكون هناك آثاراً ومنجزات قد خلفها الوجود العربي والإسلامي فقد ترك أولئك الرجال المسلمين آثاراً تدل على إمكانات ليست بالهينة، وطاقات بناءة لا تتيسر لكل أحد، حتى أدهشوا الأوروبيين بما كان لهم من قدرة بالغة على البناء، وتشييد الأبراج، وتحصينها و تركوا آثارًا بديعة مُدهشة، لا تزال شاخصة إلى ألان[١٠١] ، فقد كشفت المباحث الأثرية التي أجريت على مناطق شواطئ سانت تروبيز *Saint Trappez*، وجود أطلال لحصون عربية قديمة كانت قائمة هناك ، موجودة في آكام الألب الفرنسية والسويسرية وهي دليل قاطع على براعة المسلمون في عمل التحصينات والمنشآت الحربية في جنوب فرنسا ، وبعض مناطق إيطاليا وهي من مخلفات العرب التي بنوها لغرض تسهيل حركة الدفاع ، ولا سيما أن العرب كانوا منذ فتوحاتهم في سبتمانيا *Septimania* كانوا ينشئون في الأراضي المفتوحة حصوناً وأبراجاً تسمى بالرباط ، بيد أن فريقاً آخر من الباحثين ومنهم المؤرخ شكيب ارسلان الذي يشكك بهذا الأمر حيث قال، أنه لا توجد كتابات عربية على هذه الحصون كالتي وجدت في حصون العرب في الأندلس[١٠٢]، وكأنه يريد ان يقول لنا أن هذه لحصون كانت من عمل أبناء الأراضي المفتوحة أقاموها أيام تزايد خطر الهجمات العربية ليستعينوا بها على رد المهاجمين .

وقد ظفرت المباحث الأثرية أيضاً بالعثور على كثير من القطع الذهبية والفضية ، في أنحاء كثيرة من مقاطعة لانجدوك *Languedoc* الفرنسية وبروفانس *Provence* ، وثبت أنها من مخلفات العرب

---

[١٠٠] الحجي ، عبد الرحمن علي ، العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية ، ص٢٧٤ .

[١٠١] عنان ، مُحَمَّد عبد الله ، أثر الحضارة الإسلامية في الأحياء العربي ، بحث منشور في مجلة الأحياء الأدبي ، العدد ١٣٨ ، ١٩٣٦.

[١٠٢] تاريخ غزوات العرب ، ص٢٩٧ .

والمسلمين ، وأنها كانت تستعمل للتعامل مكان النقود ، وكذلك تم العثور على سيوف ودروع يُعتقد أنها عربية من مخلفات موقعة بلاط الشهداء الشهيرة التي وقعت في عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م[١٠٣] .

وتؤكد هذه الدراسات أيضاً أن هنالك العديد من الإشارات المادية التي تدل على استقرار المسلمين في أنحاء سويسرا المختلفة ، فقد وجدت كتابة عربية على حجر كنيسة القديس مونتجو *St. Bierre Montjoux*، في فاليه . وفي منطقة الرون مكان يعرف باسم برج المسلمين *La Tourdes Sarrazins*، وهناك حائط ينسب إلى المسلمين وعلى أحد صخوره مكتوب رقم ثلاث وعشرون بالحروف العربية ، كذلك يوجد في المقاطعات القديمة لمدينة بازل *Basel* ، بقايا أسماء عربية كانوا متواجدين هناك[١٠٤] .

ولم ينحصر اثر المسلمين في هذه الجوانب سابقة الذكر بل أمتد أيضاً ليشمل الجانب الزراعي ، فقد تخلف العديد من المسلمين عن أقرانهم بعد انتهاء الوجود الإسلامي في إمارة جبل القلال ، وفضلوا البقاء في تلك المناطق وعملوا في الزراعة فعمروا الأرض وزرعوها ونقلوا خبراتهم إلى سكان تلك المناطق حتى أنه يقال أن القمح الأسمر الذي هو الآن من أهم محاصيل فرنسا إنما هو من مخلفات العرب ، فقد حملوه وبذروه في أراضي فرنسا[١٠٥] .

أما ما يخص الجانب الصناعي فقد كان للعرب والمسلمين وقفة كبيرة به فقد عملوا على استخراج القطران الذي تطلى به السفن لغرض حمايتها من العطب ، ومازال معمولاً به إلى وقتنا الحاضر

---

[١٠٣] معركة بلاط الشهداء (وقعة البلاط أو غزوة البلاط) أو معركة تور بالإنجليزية (*Battle of Tours*)أو معركة بواتييه بالفرنسية (*Bataille de Poitiers*)هي معركة دارت في رمضان 114هـ/أكتوبر 732م في موقع يقع بين مدينتي بواتييه وتور الفرنسيتين، وكانت بين قوات مسلمين تحت لواء الدولة الأموية، [5]بقيادة والي الأندلس عبد الرحمن الغافقي من جهة، وقوات الفرنجة والبورغنديين بقيادة شارل مارتل من جهة أخرى، وانتهت بانتصار قوات الفرنجة وانسحاب جيش المسلمين بعد مقتل قائده عبد الرحمن الغافقي.ينظر الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، ص٢٧٤ . وكذلك المراكشي ، عبد الملك ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، ج٦ ، ص٣٢٧ .

[١٠٤] طرخان ، إبراهيم ، المسلمون في أوربا ، ص٢١٧-٢١٨ .

[١٠٥] عنان ، مُحَمَّد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول القسم الثاني ، ص٤٧٨ .

حتى أن أسمه الفرنسي *Quitran*، يدل على أصله العربي ، أما ما يخص صناعة السجاد فتؤكد المصادر ان هذه الصناعة قد أنتقلت من مسلمي جبل القلال إلى ايطاليا وفرنسا والمانيا [١٠٦] .

ومن الحقائق الثابتة فضل العرب والمسلمين في تلك المناطق في تحسين نسل الخيول إذ ما تزال منطقة جنوب فرنسا تشتهر بجمال خيولها ، ومما لا شك به إنما هي من سلالة الخيول العربية التي أحضرها الفرسان المسلمون معهم في تلك المناطق[١٠٧] .

أما ما يخص الجانب الاجتماعي فنتيجة لطول بقاء العرب والمسلمين هناك فقد حصلت عمليات تزاوج بينهم وبين السكان المحليين نتج عنها جيل يحمل الكثير من الصفات والملامح العربية والإسلامية ، وبعد نهاية الوجود العربي والإسلامي في إمارة جبل القلال، فقد أندمج هذا الجيل مع المجتمع النصراني وتطبع بطبائعه وعاداته وتقاليده ، وأصبحوا نصارى يمارسون المراسيم والعادات الدينية النصرانية[١٠٨] .

ولم يكن الجانب الفكري بعيداً عن هذا التأثير فقد كان للعرب والمسلمين دوراً كبيراً في تطور الحركة الأدبية، ولا سيما الحركة الشعرية وهذا يظهر واضحاً في ظهور حركة التروبادور *Troubadour* التي ظهرت في جنوب فرنسا وفي شمال اسبانيا وشمال ايطاليا[١٠٩] ، حيث يؤكد البعض ان شعر التروبادور وليد مؤثرات عربية أندلسية ، وأن لفظ التروبادور ليس إلا تحريفاً للفظ العربي دور طرب ، ولا سيما أن لغة البروفانس شأنها شأن كثير من اللغات الأوربية تقدم الصفة على الموصوف إليه على المضاف ، فقالوا

---

[١٠٦] Mohammad Ballan , Fraxinetum An Islamic Forntuier stat in tenth century provence , p64 .

[١٠٧] عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول القسم الثاني ، ص٤٧٨ .

[١٠٨] عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول القسم الثاني ، ص٤٧٨ .

[١٠٩] هو عبارة عن غناء ظهر في كاتالونيا وجاليقيا وشمال ايطاليا وجنوب فرنسا والبرتغال ويذكر بان هناك تشابه للشعر الأندلسي في مضامينه مع شعر التروبادور حيث كان شعرا دنيويا خالصا مثل الغزل والحب و مدح الأبطال المحاربين و بالتالي فان شعراء التروبادور كانوا متأثرين جدا بشعر جيرانهم الأندلسيين العرب الذي كان الغزل و وصف الطبيعة أكثر الموضوعات ورودا في أشعارهم .. ويذكر بان الشعر الرومانثي أو اللغة الرومانثية هي خليط بين الموروث الأيبيري و اللغة العامية العربية او الفصحى . و كان غناء التروبادور غناء جماعي تؤديه فرق جوالة رحالة تنتقل من مكان إلى آخر و عادة ما يكونون من طبقة النبلاء وأغانيهم غالبا ما تدور حول الغزل و تمجيد الأبطال ورجال السياسة .. ويذكر انه غناء متأثر أو مأخوذاً من الموشحات الاندلسية ينظر. شمهود، كاظم / مقال في الشبكة الدولية الانترنت ، التروبادور ، http://www.dernounisalim.com .

دور التي حرفت إلى التروبادور[١١٠] .ويبدو أن الأدب العربي في الأندلس قد أستطاع التأثير بشكل كبير في أوربا فقد تعرض لتأثيرات عربية بشكل مباشر عن طريق مسلمي إمارة جبل القلال أو دولة فراكسينتيوم .

وتبعاً لما تقدم يحق لنا أن نرد على ما قاله المؤرخ شكيب أرسلان حينما وصف العرب والمسلمين بأنهم غزاة وكانت دوافع النهب والسلب هي المحرك الأساس لغزواتهم وهم ابعد من أن ينشروا ثقافة أو يعمروا بلد ، فالنهضة الحقيقية في أوربا لم تبدأ حسب زعمه إلا في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، أي منذ أن زحف أهل الغرب لقتال الشرق، فوقع الاحتكاك بين المسلمين والمسيحيين ،وأفاق الفرنسيون والانكليز والألمان من رقدتهم [١١١] .

وللرد على ذلك نقول ان العرب والمسلمين منذ أن وطأت أقدامهم أراضي شبه الجزيرة الأيبيرية فقد حملوا معهم مشعل الحضارة الإسلامية ، وساروا به إلى أراضي تلك البلاد حتى أنهم تمكنوا من بناء حضارة عريقة امتدت لزهاء ثمانية قرون وصل أشعاعها إلى مختلف بقاع العالم ولا سيما فرنسا وايطاليا وصقلية[١١٢] ، حيث كانت هذه المناطق معابر رئيسة لانتقال هذه الحضارة إلى مناطق متعددة من العالم الغربي ،كذلك فقد جاءت حضارة المسلمين هذه في وقت كانت فيه أوربا تعاني من الفقر والتخلف والظلم والاضطهاد في مختلف جوانب الحياة حيث ما تزال الآثار الإسلامية شاخصة في شبه الجزيرة الأيبيرية والتي تحمل طابعاً عربياً وإسلاميا دليلاً قاطعاً على رقي هذه الحضارة وتطورها ، وهذا دليل على أن التواجد الإسلامي كان تواجداً حضارياً راقياً لا مجرد تواجد عسكري سياسي .

---

[١١٠] عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، أوربا في العصور الوسطى ، ج١ ، ص٤٨٤ . وكذلك ، مضهر ، جلال ، حضارة الإسلام ، ص٤١٩ .

[١١١] أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٩٦-٢٩٧ .

[١١٢] نحن نعلم أن طرق انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا الغربية كان يمر عبر ثلاث قنوات رئيسة وهي : الأندلس ، صقلية ، الحروب الصليبية .

الخاتمة

أوردت المصادر التاريخية أن غارات العرب المسلمين البحرية أتسمت بالجرأة والسرعة والبسالة وان أجرأ هذه الهجمات وأكثرها غرابة وإثارة للإعجاب والدهشة ، هي غارة هؤلاء العشرون بحاراً الذين تمكنوا من الوصول إلى خليج سان تروبيز *Saint Trope* على شاطئ بروفانس، وتحصنوا في جبل فراكسينتوم ، وهو الموضع المعروف اليوم باسم جارد فرينيه *Garde Frienet* ، ثم مضوا يفتحون القُرى ويغيرون عليها في نواحي متعددة ، فقد استطاع هؤلاء البحارة المسلمون من تأسيس دولة عرفت بإمارة جبل القلال أو دولة فراكسينتيوم (فرخشيط) ، أقيمت في قلب أوروبا ذاتها، والتي وصفت بأنها أعجب دولةٍ إسلامية غربية ، دون أن يستطيع ملوك أوروبا في بادئ الأمر القضاء عليها . ويذكر أن هؤلاء البحارة بعد أن رأوا النجاح العسكري الذي حققوه فقد أرسلوا رسلهم إلى الأندلس لطلب المساعدة والعون فحصلوا على مرادهم فقوي بأسهم، وأمتد نشاطهم فشمل أجزاء واسعة من الأراضي الأوربية وتحديدا شمال إيطاليا وجنوب شرق فرنسا وأجزاءً من سويسرا، واستمرت خمس وثمانون عاما (٢٧٧-٣٦٥هـ/ ٨٩٠-٩٧٥م) ، حتى أصبح وجودهم في تلك المناطق مصدر رعب وإزعاج لسكان أوربا ،وتزايد خطرهم لذلك فقد أجريت سفارات متبادلة بين الأندلس وأوربا الغربية كان أبرزها سفارة الإمبراطور الألماني أوتو الكبير التي بعثها إلى الخليفةِ الأموي في الأندلس عبدالرحمن الناصر طالباً منه وضع حد لمحاولات مجاهدي إمارة جبل القلال في تلك المناطق، وأن تلك السفارات قد فشلت في تحقيق غايتها العسكرية ، ولا سيما حينما صرح الخليفة عبدالرحمن الناصر لسفراء اوتو الأول من كون البحارة المذكورين لا علاقة لهم بالخلافة الأموية في الأندلس، وغير داخلين تحت سلطانهِ، وما فعلوه لم يكن بتنسيق مع الخلافة الأموية في الأندلس ، الأمر الذي لم يقبله بعض مؤرخي النصارى في تلك الفترة إذ

كانوا يشعرون بوجودِ علاقة خفية بين الناصر وبين أولئك البحارة المغامرين ، والحقيقة تثبت عكس ذلك فقد كانت هذه الدولة خاضعة لسلطة الإمارة الأموية في الأندلس وتأتمر بإمرتها ، لذلك فحينما فشلت المساعي الدبلوماسية لإنهاء وجود هذه الدولة أو للحد من تصرفات زعمائها باتت المواجهة العسكرية أمراً لا مفر منه فتحالف الغرب على إنهاء الوجود الإسلامي، والقضاء على هذه الدولة فتزعم هذا الأمر الإمبراطور اوتو الكبير بعد أن دعمته الكنيسة الكاثوليكية بكل مستلزمات النجاح العسكري وقاد حملة أقل مايطلق عليها بأنها صليبية فدخل بحروب مستمرة مع أمراء هذه الدولة تمكن في المحصلة النهائية من القضاء على هذه الدولة وإزالتها بالكامل من الأراضي الأوربية وكان ذلك في عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م ، ونتيجة لطول الوجود الإسلامي في تلك المناطق فقد استطاع المسلمون أن يؤسسوا حضارة شملت جوانب الحياة المختلفة، استطاعت أن تنهل منها أوربا الشيء الكثير، وتكون مصدر أشعاع وتنوير في جوانبها الحضارية كافة .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية

ابن الأبار ، أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي ، ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م

١ -الحلة السيراء ، حققه وضبط حواشيه ، حسين مؤنس ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

ابن حوقل ، أبي القاسم بن حوقل النصيبي ، ت ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧ م

٢ -كتاب صورة الأرض ، منشورات دار ومكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٩٢ .

ابن حيان ، أبو مروان بن حيان القرطبي ، ت٤٦٩هـ/١٠٦٩م

٣ -المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥.

الاصطخري ، أبو إسحق إبراهيم مُحَمَّد الفارسي ، ت ٣٥٠هـ/٩٦١م

٤ -المسالك والممالك ، تحقيق ، مُحَمَّد جابر عبد العال ومراجعة مُحَمَّد شفيق غربال ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، نشر دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦١ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن ، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م

٥ -العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٦.

ابن عذارى ، أبو عبد الله مُحَمَّد المراكشي، ت ٧١٢هـ، ١٣١٢م

٦ -البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ط٣، تحقيق س . كولان و إ ليفي برفنسال ، بيروت ، دار الثقافة،١٩٨٠.

ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن مُحَمَّد بن عمر، (ت٧٧٤/١٣٧٢م)

٧ -تقويم البلدان ، تحقيق دي سلان ، باريس ، ١٨٤٠ .

الحميدي ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي ، ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م

٨ -جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ .

الحميري ، مُحَمَّد عبد المنعم ،ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م .

٩ -الروض المعطار في خبر الأقطار ،تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، دار العلم للطباعة ، ١٩٧٥

ابن الخطيب ، لسان الدين ابن الخطيب السلماني ، ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م

١٠ - تاريخ اسبانيا النصرانية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الأسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف، ط٢، لبنان ، ١٩٥٦ .

القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م

١١ -صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المطبعة الأميرية ، دار الكتب المصرية ، المؤسسة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٣ .

المراكشي ، أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي ، ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م

١٢-الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان ، ١٩٦٥ .

شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد ت١٠٤١هـ/١٦٣١م

١٤- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨.

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م

١٥- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ .

قائمة المراجع العربية

أرسلان ، شكيب

١ -تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٥ .

الحجي ، عبد الرحمن علي

٢ -التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٢٩- ٨٩٧هـ/ ٧١١- ١٤٩٢م ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٦

٣ -_____، العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية خلال المدة الأموية (١٣٨-٣٦٦هـ/ ٧٥٥-٩٧٦م) دراسة تاريخية ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ٢٠٠٤

الحسين ، قصي

٤ -موسوعة الحضارة العربية العصر الأندلسي ، دار البحار ، بيروت ، ٢٠١٢ .

تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة ، دار الفكر ، المملكة الاردنية الهاشمية ، عمان ، ٢٠١١.

السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون .

٥- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي ، بيروت ، ٢٠١٤ .

سيسالم ، عصالم سالم

٦ - جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار ٨٩-٦٨٥هـ/٧٠٨-١٢٨٧م) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ .

شاكر ، محمود

٧ -التاريخ الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٠ .

شبارو ، عصام مُحَمَّد

٨ -الأندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود (٩١-٨٩٧هـ/ ٧١٠-١٤٩٢م) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

٩ -شمهود ، كاظم ، التروبادور ، مقال على الشبكة الأتصالات الدولية الانترنيت ، http://www.dernounisalim.com

طرخان ، إبراهيم علي

١٠ - المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ، الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي الألف كتاب ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

عاشور ، سعيد عبد الفتاح

١١ -أوربا في العصور الوسطى التاريخ السياسي ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢ .

العبادي ، احمد مختار

١٢ -دراسات في تاريخ المغرب والأندلس مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

عنان، مُحَمَّد عبد الله

١٣ - دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول القسم الثاني ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

١٤ - ____ ، أثر الحضارة الإسلامية في الأحياء العربي ، بحث منشور في مجلة الأحياء الأدبي ، العدد ١٣٨ ، ١٩٣٦.

قاسم ، عبده قاسم

١٥ - ماهية الحروب الصليبية ، سلسلة كتب عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠

لويس ، أرشيبالد

١٦ - القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد مُحَمَّد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

مضهر ، جلال

١٧ - حضارة الإسلام واثرها في الترقي العالمي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت

المزروع ، وفاء عبد الله سليمان

١٨ – جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري ، مكتبة دار القاهرة ، ٢٠٠٣ .

مؤنس ، حسين

١٩ – أطلس تاريخ الإسلام ،مؤسسة الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

نعني ، عبد المجيد

٢٠ – تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ .

الدوريات

مؤنس ، حسين

١ –المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد الرابع ، العدد١، ١٩٥١ .

المراجع الأجنبية

Cardoso , Elsa Raquel Fernandes

1- Diplomacy and oriental influence in the court of Cordoba (9th-10th centuries) ,Master,s degree in history of Islamic Mediterranean societies , University of Lisbon , 2015 .

Mohammad Ballan

2- Fraxinetum An Islamic Forntuier stat in tenth century provence .

Provencal, Levi

3- Histoire de Espagne Musulmane , Paris , 1950-1953.

Scott G, Bruce

4- Modiolus of Cluny considers the Muslims of La Garde-Freinet

Zuk,Stanislaw

5- Muslim Diplomatic Activity on Iberian Peninsula between 711A.D and 1252A.D Note on Sources